

أضواء البيان

@ 60 ، { بَلَّ هُمْ أَضَلُّ } من الأنعام ، أي : أبعد عن فهم الحق وإدراكه . .
وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { بَلَّ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } ، قال الزمخشري :
فإن قلت : كيف جعلوا أضلَّ من الأنعام ؟ .
قلت : لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها ، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء
إليها ، وتطلب ما ينفعها ، وتجنب ما يضرها ، وتهتدي لمراعيها ومشاربها ، وهؤلاء لا
ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إسارة الشيطان الذي هو عدوهم ، ولا يطلبون
الثواب الذي هو أعظم المنافع ، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ، ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي ، اه منه . .
وإذا علمت ما دلَّت عليه هذه الآية الكريمة ، فاعلم أن اللّٰه بيّنه في غير الموضع ، :
كقوله تعالى في سورة (الأعراف) : { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ
الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُوْنَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا
يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْذَانٌ } ، وقوله تعالى في (البقرة) : { وَمَثَلُ
الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْدَعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاء
وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ } . { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ السَّيْلَ لِبَاسًا وَالذَّنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ الذَّهَارَ نُشُورًا } . ذكر
جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي جعل لخلقه الليل لباسًا ، والنوم سباتًا ،
وجعل لهم النهار نشورًا ، أمّا جعله لهم اللّٰيل لباسًا ، فالظاهر أنه لما جعل الليل
يغطّي جميع من في الأرض بظلامه صار لباسًا لهم ، يسترهم كما يستر اللباس عورة صاحبه ،
وربما انتفعوا بلباس اللّٰيل كهروب الأسير المسلم من الكفّار في ظلام الليل ، واستتاره به
حتى ينجو منهم ، ونحو ذلك من الفوائد التي تحصل بسبب لباس الليل ؛ كما قال أبو الطيّب
المتنبّي : يسترهم كما يستر اللباس عورة صاحبه ، وربما انتفعوا بلباس اللّٰيل كهروب
الأسير المسلم من الكفّار في ظلام الليل ، واستتاره به حتى ينجو منهم ، ونحو ذلك من
الفوائد التي تحصل بسبب لباس الليل ؛ كما قال أبو الطيّب المتنبّي : % (وكم لظلام
الليل عندي من يد % تخبر أن الما نوية تكذب) % (وفاك ردى الأعداء تسري إليهم % وزارك
فيه ذو الدلال المحجب) % .

وأمّا جعله لهم النوم سباتًا ، فأكثر المفسّرين على أن المراد بالسبات : الراحة من
تعب العمل بالنهار ؛ لأن النوم يقطع العمل النهاري ، فينقطع به التعب ، وتحصل الاستراحة

، كما هو معروف . .

وقال الجوهري في (صحاحه) : السبات النوم وأصله الراحة ، ومنه قوله تعالى